نزار قباني



الطبعة الثالثة عشرة

كانون الثاني (يناير) ١٩٩٩

لأنني لا أمسحُ الغبار عن أحذية القياصرهْ
لأنني أقاومُ الطاعونَ في مدينتي المحاصرهْ
لأن شعري كلهُ ..
حربٌ عل المغول ، والتتار ، والبرابرهْ
يشتمني الأقزام والسماسرهْ ..
نزار

جمال عبد الناصر

(١)

قتلناك .. يا آخر الأنبياءْ
قتلناكَ ..
ليس جديداً علينا
اغتيال الصحابة والأولياءْ
فكم من رسول قتلنا ..
وكم من إمام ..
ذبحناه وهو يصلي صلاةَ العشاءْ
فتاريخنا كله محنةٌ
وأيامنا كلها كربلاءْ ..

(٢)

نزلت علينا كتاباً جميلاً
ولكننا لا نجيد القراءه ..
وسافرتَ فينا لأرض البراءه
ولكننا .. ما قبلنا الرحيلا ..
تركناك في شمس سيناء وحدكْ ..
تكلمُ ربكَ في الطور وحدكْ
وتعرى ..
وتشقى ..
وتعطشُ وحدكْ ..
ونحن هنا .. نجلس القرفصاء
نبيعُ الشعارات للأغبياء
ونحشو الجماهير تبناً وقشا
ونتركهم يعلكون الهواء ..

(٣)

قتلناكَ ..
يا جبل الكبرياءْ
وآخرَ قنديل زيتٍ ..
يضيء لنا في ليالي الشتاء

وآخرَ سيفٍ من القادسيه
وقلنا المنيهْ ..
لماذا قبلتَ المجيءَ إلينا ؟
فمثلكَ كان كثيراً علينا ..
سقيناكَ سمّ العروبة حتى شبعتْ ..
رميناكَ في نار عمّانَ .. حتى احترقتْ
أريناكَ غدرَ العروبة حتى كفرت
لماذا ظهرتَ بأرض النفاق ..
لماذا ظهرتْ ؟
فنحن شعوبٌ من الجاهليه
ونحن التقلبُ ..
نحن التذبذبُ ..
والباطنيه ..
نبايعُ أربابنا في الصباح
ونأكلهم حين تأتي العشيهْ ..

(٤)

قتلناكَ ..
يا حبنا وهوانا ..
وكنتَ الصديقَ ، وكنتَ الصدوقَ ،
وكنتَ أبانا ..
وحينَ غسلنا يدينا .. اكتشفنا
بأنا قتلنا منانا ..
وأنّ دماءكَ فوق الوسادة ..
كانتْ دمانا
نفضتَ غبارَ الدراويش عنا
أعدتَ إلينا صبانا ..
وسافرتَ فينا إلى المستحيل
وعلمتنا الزهو والعنفوانا ..
ولكننا ..
حينَ طال المسيرُ علينا
وطالتْ أظفارنا .. ولحانا
قتلنا الحصانا ..

فتبتْ يدانا ..
فتبتْ يدانا ..
أتينا إليكَ .. بعاهاتنا ..
وأحقادنا .. وانحرافاتنا ..
إلى أن ذبحناكَ ذبحاً
بسيف أسانا ..
فليتكَ في أرضنا ما ظهرتَ ..
وليتكَ كنتَ نبيَّ سوانا ...

(٥)

أبا خالدٍ .. يا قصيدة شعرٍ ..
تقالُ .
فيخضر منها المداد ..
إلى أينَ ؟
يا فارسَ الحلم تمضي ..
وما الشوط . حين يموت الجوادْ ؟
إلى أين ؟
كلّ الأساطير ماتتْ ..
بموتكَ .. وانتحرت شهرزادْ
وراء الجنازة .. سارت قريشٌ
فهذا هشامٌ ..
وهذا زيادْ ..
وهذا يريقُ الدموعَ عليكْ
وخنجره ، تحت ثوب الحدادْ
وهذا يجاهدُ في نومه ..
وفي الصحو ..
يبكي عليه الجهادْ ..
وهذا يحاولُ بعدك مُلكاً ..
وبعدكَ ..
كلّ الملوك رمادْ ..
وقودُ الخوارج .. جاءت جميعاً
لتنظم فيكَ ..
ملاحمَ عشق ..

فمنْ كفروكَ ..
ومنْ خونوكَ ..
ومنْ صلبوك بباب دمشقْ ..
أنادي عليكَ .. أبا خالد
وأعرف أني أنادي بوادْ
وأعرف أنكَ لنْ تستجيب
وأن الخوارقَ ليست تعادْ ..

رسالة إلى جمال عبد الناصر

(١)

والدُنا جمالَ عبدَ الناصرْ :
عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ ..
من أرضِ مصرَ الطيبهْ
من ليلها المشغولِ بالفيروزِ والجواهرِ
ومن مقاهي سيّدي الحسين ، من حدائق القناطرِ
ومن تُرعِ النيلِ التي تركتَها ..
حزينة الضفائرِ ..
عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ
من الملايينِ التي قد أدمنتْ هواكْ
من الملايينِ التي تريدُ أن تراكْ
عندي خطابٌ كلّهُ أشجانْ
لكنّني ..
لكنّني يا سيّدي
لا أعرفُ العنوانْ ...

(٢)

والدُنا جمالَ عبدَ الناصرْ :
الزرعُ في الغيطان، والأولادُ في البلدْ
ومولدُ النبيِّ، والمآذنُ الزرقاءُ ..
والأجراسُ في يومِ الأحدْ ..
وهذهِ القاهرةُ التي غفَتْ ..
كزهرةٍ بيضاءَ.. في شعرِ الأبَدْ ..
يسلّمونَ كلهم عليكْ
يقبّلونَ كلّهم يديكْ ..
ويسألونَ عنكَ كلَّ قادمٍ إلى البلدْ
متى تعودُ للبلدْ؟ ...

(٣)

حمائمُ الأزهرِ يا حبيبَنا .. تُهدي لكَ السلامْ
مُعدّياتُ النيلِ يا حبيبَنا .. تّهدي لكَ السلامْ ..
والقطنُ في الحقولِ ، والنخيلُ ، والغمامُ ..
جميعُها .. جميعُها .. تُهدي لكَ السلامْ ..
كرسيُّكَ المهجورُ .. في منشيّةِ البكريِّ ..
يبكي فارسَ الأحلامْ ..
والصبرُ لا صبرَ لهُ .. والنومُ لا ينامْ
وساعةُ الجدارِ .. من ذهولِها ..
ضيّعتِ الأيّامْ ..
يا مَن سكنتَ الوقتَ والأيامْ
عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ ..
لكنّني ...
لكنّني يا سيّدي.. لا أجدُ الكلامْ ..
لا أجدُ الكلامْ ..

(٤)

والدُنا جمالَ عبدَ الناصرْ :
الحزنُ مرسومٌ على الغيومِ ، والأشجارِ ، والستائرِ
وأنتَ سافرتَ ولم تسافرِ ..
فأنتَ في رائحةِ الأرضِ، وفي تفتُّحِ الأزاهرِ ..
في صوتِ كلِّ موجةٍ ، وصوتِ كلِّ طائرِ
في كتبِ الأطفالِ، في الحروفِ ، والدفاترِ
في خضرةِ العيونِ، وارتعاشةِ الأساورِ ..
في صدرِ كلِّ مؤمنٍ، وسيفِ كلِّ ثائرِ ..
عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ ..
لكنّني ..
لكنّني يا سيّدي ..
تسحقُني مشاعري ..

(٥)

يا أيُها المعلّمُ الكبيرْ
كم حزنُنا كبيرْ ..
كم جرحُنا كبيرْ ..
لكنّنا
نقسمُ باللهِ العليِّ القديرْ
أن نحبسَ الدموعَ في الأحداقْ ..
ونخنقَ العبرهْ ..
نقسمُ باللهِ العليِّ القديرْ ..
أن نحفظَ الميثاقْ ..
ونحفظَ الثورهْ ..
وعندما يسألنا أولادُنا
من أنتمُ؟
في أيِّ عصرٍ عشتمُ..؟
في عصرِ أيِّ مُلهمٍ؟
في عصرِ أيِّ ساحرٍ؟
نجيبُهم: في عصرِ عبدِ الناصرِ ..
الله.. ما أروعها شهادةً
أن يوجدَ الإنسانُ في عصرِ عبدِ الناصرِ..

الهرم الرابع

(١)

السيّدُ نامْ
السيّدُ نامْ
السيّدُ نامَ كنومِ السيفِ العائدِ من إحدى الغزواتْ
السيّدُ يرقدُ مثلَ الطفلِ الغافي.. في حُضنِ الغاباتْ
السيّدُ نامَ ..
وكيفَ أصدِّقُ أنَّ الهرمَ الرابعَ ماتْ؟
القائدُ لم يذهبْ أبداً ..
بل دخلَ الغرفةَ كي يرتاحْ
وسيصحو .. حينَ تطلُّ الشمسُ
كما يصحو عطرُ التفاحْ ..
الخبزُ سيأكلهُ معنا ..
وسيشربُ قهوتهُ معنا ..
ونقولُ لهُ ..
ويقولُ لنا ..
القائدُ يشعرُ بالإرهاق ..
فخلّوهُ يغفو ساعاتْ ..

(٢)

يا مَن تبكونَ على ناصرْ ..
السيّدُ كانَ صديقَ الشمسِ ..
فكفّوا عن سكبِ العبراتْ ..
السيّد ما زالَ هُنا ..
يتمشّى فوقَ جسورِ النيل ..
ويجلسُ في ظلِّ النخلاتْ ..
ويزورُ الجيزةَ عندَ الفجرِ ..
ليلثمَ حجرَ الأهراماتْ .
يسألُ عن مصرَ.. ومَن في مصرَ ..
ويسقي أزهارَ الشرفاتْ ..
ويصلّي الجمعةَ والعيدين ..
ويقضي للناسِ الحاجاتْ

ما زالَ هُنا عبدُ الناصرْ ..
في طمي النيلِ، وزهرِ القطن ..
وفي أطواقِ الفلاحاتْ ..
في فرحِ الشعبِ ..
وحزنِ الشعب ..
وفي الأمثالِ ، وفي الكلماتْ ..
ما زالَ هُنا عبدُ الناصرْ ..
من قالَ الهرمُ الرابعُ ماتْ؟

(٣)

يا مَن يتساءلُ : أينَ مضى عبدُ الناصرْ ؟
يا مَن يتساءلُ :
هلْ يأتي عبدُ الناصرْ ..
السيّدُ موجودٌ فينا ..
موجودٌ في أرغفةِ الخُبزِ ..
وفي أزهارِ أوانينا ..
مرسومٌ فوقَ نجومِ الصيفِ،
وفوقَ رمالِ شواطينا ..
موجودٌ في أوراقِ المصحفِ ..
في صلواتِ مُصلّينا ..
موجودٌ في كلماتِ الحبِّ ..
وفي أصواتِ مُغنّينا ..
موجودٌ في عرقِ العمّالِ ..
وفي أسوانَ.. وفي سينا ..
مكتوبٌ فوقَ بنادقنا ..
مكتوبٌ فوقَ تحدينا ..
السيّدُ نامَ.. وإن رجعتْ
أسرابُ الطيرِ.. سيأتينا..

الحاكم والعصفور

أتجوَّلُ في الوطنِ العربيِّ
لأقرأ شعري للجمهورْ
فأنا مقتنعٌ
أنَّ الشعرَ رغيفٌ يُخبزُ للجمهورْ
وأنا مقتنعٌ – منذُ بدأتُ –
بأنَّ الأحرفَ أسماكٌ
وبأنَّ الماءَ هوَ الجمهورْ

*

أتجوَّلُ في الوطنِ العربيِّ
وليسَ معي إلا دفترْ
يُرسلني المخفرُ للمخفرْ
يرميني العسكرُ للعسكرْ
وأنا لا أحملُ في جيبي إلا عصفورْ
لكنَّ الضابطَ يوقفني
ويريدُ جوازاً للعصفورْ
تحتاجُ الكلمةُ في وطني
لجوازِ مرورْ

*

أبقى ملحوشاً ساعاتٍ
منتظراً فرمانَ المأمورْ
أتأمّلُ في أكياسِ الرملِ
ودمعي في عينيَّ بحورْ
وأمامي كانتْ لافتةٌ
تتحدّثُ عن (وطنٍ واحدْ)
تتحدّثُ عن (شعبٍ واحدْ)
وأنا كالجُرذِ هنا قاعدْ

أتقيأُ أحزاني ..
وأدوسُ جميعَ شعاراتِ الطبشورْ
وأظلُّ على بابِ بلادي
مرميّاً ..
كالقدح المكسورْ

مورفين

اللفظةُ طابةُ مطّاطٍ ..
يقذفُها الحاكمُ من شُرفتهِ للشارعْ ..
ووراءَ الطابةِ يجري الشعبُ
ويلهثُ.. كالكلبِ الجائعْ ..

*

اللفظةُ، في الشرق العربيِّ
أراجوزٌ بارعْ
يتكلّمُ سبعة ألسنةٍ ..
ويطلُّ بقبّعةٍ حمراءْ
ويبيعُ الجنّة للبسطاءْ
وأساورَ من خرزٍ لامعْ
ويبيعُ لهمْ ..
فئراناً بيضاً.. وضفادعْ
اللفظةُ جسدٌ مهترئٌ
ضاجعهُ كتابٌ، والصحفيُّ
وضاجعهُ شيخُ الجامعْ ..

*

اللفظةُ إبرةُ مورفينٍ
يحقنُها الحاكمُ للجمهورِ ..
منَ القرنِ السابعْ
اللفظةُ في بلدي امرأةٌ
تحترفُ الفحشَ ..
منَ القرنِ السابعْ..

الوصية

(١)

أفتحُ صندوقَ أبي
أمزِّقُ الوصيّهْ
أبيعُ في المزادِ ما ورثْتُهُ :
مجموعة المسابحِ العاجيّهْ
طربوشُهُ التركيُّ ، والجواربُ الصوفيَّهْ
وعلبةُ النشوقِ ، السماورُ العتيقُ، والشمسيَّهْ
أسحبُ سيفي غاضباً
وأقطعُ الرؤوسَ ، والمفاصل المرخيَّهْ
وأهدمُ الشرقَ على أصحابِهِ
تكيَّةً .. تكيَّهْ ..

(٢)

أفتحُ صندوقَ أبي
فلا أرى ..
إلا دراويشَ ومولويَّهْ
والعودَ، والقانونَ، والبشارفَ الشرقيَّهْ
وقصَّة الزيرِ على حصانِهِ ..
وعاطلينَ يشربونَ القهوةَ التركيَّهْ
أسحبُ سيفي غاضباً
وأقتلُ المعلّقاتِ العشرَ .. والألفيَّهْ
وأقتلُ الكهوفَ، والدفوفَ،
والأضرحة الغبيَّهْ ..

(٣)

أفتحُ تاريخَ أبي
أفتحُ أيّامَ أبي
أرى الذي ليسَ يُرى :
أدعيةٌ . مدائحٌ دينيَّهْ
أوعيةٌ . حشائشٌ طبيَّهْ
أدويةٌ للقُدرةِ الجنسيَّهْ

أبحثُ عن معرفةٍ تنفعُني
أبحثُ عن كتابةٍ
تَخُصُّ هذا العصرَ .. أو تخصُّني
فلا أرى حولي سوى ..
رملٍ وجاهليَّهْ ..

(٤)

أرفضُ ميراثَ أبي ..
وأرفضُ الثوبَ الذي ألبَسَني
وأرفضُ العلمَ الذي علَّمَني
وكلَّ ما أورَثَني ..
من عُقَدٍ جنسيَّهْ
أرفضُ ألفَ ليلةٍ ..
والقمقمَ العجيبَ ، والماردَ ،
والسجّادةَ السحريَّهْ
أرفضُ سيفَ الدولةِ المغرورَ
والقصائدَ الذليلةَ الغبيَّهْ
أحرقُ رسمَ أُسرتي
أحرقُ أبجديّتي
ومن فلسطينَ ومن صمودِها ..
من طلقاتِ النارِ في جرودِها ..
من قمحِها المغموسِ بالدمع ،
ومن ورودها
أصنعُ أبجديَّهْ ..

(٥)

أدخلُ مثلَ البرقِ من نافذةِ الخليفَهْ
أراهُ لا يزالُ مثلما تركتُهُ
منذُ قرونٍ سبعةٍ
مضاجعاً جاريةً روميَّهْ
أقرأُ آياتٍ من القرآنِ فوقَ رأسِهِ
مكتوبةً بأحرفٍ كوفيَّهْ
عن الجهادِ في سبيلِ الله ، والرسولِ ،

والشريعةِ الحنفيَّهْ
أقولُ في سريرَتي :
" تباركَ الجهادُ في النُحُورِ، والأثداءِ
والمعاصمِ الطريَّهْ ..
يا حضرةَ الخليفَهْ
أعبرُ من سراديقِ الحريم كالمنيَّهْ
أمشي على الأبدانِ ، والغلمان ،
والأساورِ المرميَّهْ
أمشي على ..
توجُّعِ الحريرِ والقطيفَهْ
أدخلُ مثلَ الموتِ من نافذةِ الخليفَهْ
يحسبُني مُرتزقاً
دَبَّجتُ في مديحِهِ قصيدةً همزيَّهْ
يأمرُ لي
من بيتِ مالِ المؤمنينَ كلَّ ما أطلبُهُ
عباءةً من قَصَبٍ
وساعةً من ذَهَبٍ
ومن نساءِ قصرهِ محظيَّهْ
أبصقُ فوقَ وجههِ
وفوقَ وجه الدولةِ العليَّهْ
من أنتَ ؟
يا سيَّافُ .. إقطعْ رأسَهُ
وهاتِ لي الرأسَ على صينيَّهْ
يا مَلِكَ الزمانِ .. إنْ قتلتَني
فمستحيلٌ تقتلُ الحريَّهْ .

(٦)

قُم يا طويلَ العُمرِ ..
من حُجرَتِكَ الورديَّهْ
وافتحْ شبابيكَكَ ..
للشمسِ ، وللعدلِ ، وللرعيَّهْ
فما رآكَ الشعبُ منذُ آخرِ أيّامِ بني أميَّهْ
هل أنتَ حقاً من بني أميَّهْ ؟

أخرجْ إلى الشارع يا أميرَنا
واقرأْ ..
ولو صحيفةً يوميَّهْ
إقرأ ..
عن السويس ، والأردنِّ ، والجولان
والمدائن السبيَّهْ
عن الذين يعبرونَ النهرَ ..
نحوَ الضفَّةِ الغربيَّهْ
خريطةٌ صغيرةٌ ..
للضفَّةِ الغربيَّهْ ؟

بانتظار غودو

١

ننتظرُ القطارْ
ننتظرُ المسافرَ الخفيَّ كالأقدارْ
يخرجُ من عباءةِ السنينْ
يخرجُ من بدرٍ ، من اليرموكِ ،
من حطّينْ ..
يخرجُ ..
من سيفِ صلاحِ الدّينْ ..
من سنةِ العشرينْ
ونحنُ مرصوصونَ ..
في محطّةِ التاريخ ، كالسّردينْ ..
يا سيّداتي سادتي :
هل تعرفونَ ما حُريّةُ السّردينْ ؟
حينَ يكونُ المرءُ مضطرّاً
لأن يقولَ رغمَ أنفهِ : (آمينْ)
حينَ يكونُ الجرحُ مضطرّاً
لأن يُقبّلَ السكّينْ ..
يا سيّداتي سادتي :
من سنةِ العشرينْ
ونحنُ كالدجاجِ في أقفاصنا
ننظرُ في بلاهةٍ
إلى خطوطِ سكّةِ الحديدْ
أفقيّةٌ حياتُنا ..
مثلَ خطوطِ سكّةِ الحديدْ
ضيّقةٌ .. ضيّقةٌ
مثلَ خطوطِ السكّةِ الحديدْ
ساعاتُنا واقفةٌ
لا اللهُ يأتينا .. ولا موزّعُ البريدْ
من سنةِ العشرينْ ، حتى سنةِ السبعينْ
نجلسُ في انتظارِ وجهِ الملكِ السعيدْ

كلُّ الملوكِ يشبهونَ بعضَهمْ
والملكُ القديمُ ، مثلُ الملكِ الجديدْ

٢

ننتظرُ القطارْ
ونحملُ البيارقَ الحمراءَ ، والأزهارْ
تمضغُنا مكبّراتُ الصوتِ في الليلِ
وفي النهارْ
تنشرُنا إذاعةُ الدولةِ بالمنشارْ
إنتبهوا !
إنتبهوا !
خمسينَ يوماً - ربّما - تأخّرَ القطارْ
خمسينَ يوماً - ربّما - تأخّرَ القطارْ
تقيّحتْ أفخاذُنا من كثرةِ الجلوسْ
تقيّحَتْ ..
في رأسنا الأفكارْ
وصارَ لحمُ ظهرنا
جزءاً من الجدارْ
جاؤوا بنا عشرينَ ألفَ مرّةً
تحتَ عويلِ الريح والأمطارْ
واستأجروا الباصاتِ كي تنقلنا
ووزّعوا الأدوار ..
وعلّمونا .. كالقرودِ الرقصَ
والعزفَ على المزمارْ
ودرّبونا ..
- ككلابِ الصيد - كيفَ ننحني
للقادمِ المسكونِ بالدهشةِ والأسرارْ
إذا أتى القطارْ ..

٣

لم نَرَهُ ..
لكنَّ مَن رأوهُ فوقَ الشاشةِ الصغيرهْ
يبتلعُ الزجاجَ ..

أو يسيرُ كالهنودِ فوقَ النارْ
ويُخرجُ الأرانبَ البيضاءَ من جيوبهِ
ويقلبُ الفحمَ إلى نُضارْ
يؤكّدونَ أنّهُ ..
من أولياءِ اللهِ .. جلَّ شأنُهُ
وأنَّ نورَ وجههِ يحيِّرُ الأبصارْ ..
وأنّهُ سيحملُ القمحَ إلى بيوتنا
والسمنَ .. والطحينَ .. بالقنطارْ
ويجعلُ العميانَ يبصرونْ
ويجعلُ الأمواتَ ينهضونْ
ويزرعُ الحنطةَ في البحارْ
وأنّهُ - في سنواتِ حكمهِ -
يُدخلنا لجنّةٍ ..
من تحتها تنسكبُ الأنهارْ
لم نرَهُ ..
ولم نقبّلْ يدهُ
لكنَّ مَن تبرّكوا يوماً بهِ ..
قالوا بأنَّ صوتَهُ
يُحرّكُ الأحجارْ ..
وأنّهُ ..
وأنّهُ ..
هوَ العزيزُ الواحدُ القهّارْ ..

٤

ننتظرُ القطارْ
مكسورةٌ - منذُ أتَينا - ساعةُ الزمانْ
والوقتُ لا يمرُّ ..
والثواني ما لها سيقانْ
تعلكُنا ..
تنهشُنا ..
مكبّراتُ الصوتِ بالأسنانْ ..
إنتبهوا !
إنتبهوا !

لا أحدٌ يقدرُ أن يغادرَ المكانْ
ليشتري جريدةً ..
أو كعكةً ..
أو قطعةً صُغرى من اللبانْ
لربّه ، لا أحدٌ ، يقدرُ أن يقولَ :
(يا ربّاه)
لا أحدٌ ..
يقدرُ أن يدخلَ ، حتّى ، دورةَ المياهْ ..
تعالَ يا غودو ..
وخلّصنا من الطغاةِ والطغيانْ
ومن أبي جهلٍ ، ومن ظُلمِ أبي سُفيانْ
فنحنُ محبوسونَ في محطّةِ التاريخِ كالخرفانْ
أولادُنا ناموا على أكتافِنا ..
رئاتُنا .. تسمّمَتْ بالفحمِ والدخانْ
والعَرْضَحَالاتُ التي نحملُها
عن قلّةِ الدواءْ ..
والغلاء ..
والحِرمان ..
صادَرَها مرافقو السلطانْ
تعالَ يا غودو .. وجفّفْ دمعَنا
وأنقذِ الإنسانَ من مخالبِ الإنسانْ

٥

تعالَ يا غودو ..
فقد تخشّبتْ أقدامُنا انتظارْ
وصارَ جلدُ وجهنا ..
كقطعةِ الآثارْ ..
تبخّرتْ أنهارُنا
وهاجَرَتْ جبالُنا
وجفّتِ البحارْ
وأصبحتْ أعمارُنا ليسَ لها أعمارْ
تعالَ يا غودو .. فإنَّ أرضَنا
ترفضُ أن تزورَها الأمطارْ

ترفضُ أن تكْبرَ في ترابِنا الأشجارْ
تعالَ .. فالنساءُ لا يحبلنَ ..
والحليبُ لا يدرُّ في الأبقارْ
إن لم تجئْ من أجلنا نحنُ ..
فمن أجلِ الملايينِ من الصّغارْ
من أجلِ شعبٍ طيّبٍ ..
ما زالَ في أحلامهِ
يُقرقشُ الأحجارْ
يقرقشُ المعلّقاتِ العشرَ ..
والجرائدَ القديمهْ
ونشرةَ الأخبارْ..

قراءة أخيرة على أضرحة المجاذيب

(١)

أرفضكم جميعكم
وأختمُ الحوارْ
لم تبقَ عندي لغةٌ
أضرمتُ في معاجمي
وفي ثيابي النارْ ..
هربتُ من عمرو بن كلثوم
ومن رائية الفرزدق الطويلهْ
هاجرتْ من صوتي ، ومن كتابتي
هاجرتُ من ولادتي
هاجرتُ من مدائن الملحِ ،
ومن قصائد الفخارْ

(٢)

حملتُ أشجاري إلى صحرائكم
فانتحرتْ ..
من يأسها الأشجارْ
حملتُ أمطاري إلى جفافكمْ
فشحت الأمطارْ
زرعتْ في أرحامكم قصائدي
فاختنقتْ ..
يا رحماً .. يحبلُ بالشوك وبالغبارْ ..

(٣)

حاولتُ أن أقلعكم
من دبق التاريخ ..
من رزنامة الأقدارْ
ومن (قفا نبكِ) .. ومن عبادة الأحجار
حاولتُ ..
أن أفكّ عن طروادة حصارها
حاصرني الحصارْ

(٤)

أرفضكم ..
أرفضكم ..
يا منْ صنعتم ربكم من عجوة
لكل مجذوب بنيتم قبّةً
وكلّ دجال أقمتم حوله مزارْ
حاولتُ أن أنقذكم
من ساعة الرمل التي تبلعكم
في الليل والنهارْ
من الحجابات على صدوركمْ ..
من القراءات التي تتلى على قبوركم
من حلقات الذكرْ ،
من قراءة الكف ،
ورقص الزارْ
حاولتُ أن أدق في جلودكم مسمارْ
يئستُ من جلودكمْ
يئست من أظفاري
يئستُ من سماكة الجدارْ ..

(٥)

من مللي ..
شنقتُ نفسي أمس .. في ضفائر الحبيبهْ
لم أستطع أن أفعل الحبّ .. كما عودتها
كانت خطوط جسمها غريبهْ
كان السرير بارداً ..
والبردُ كان بارداً ..
ونهدُ من أحبها ليمونةً كئيبهْ ..
بعد حزيران أضعتُ شهوتي
سقطتُ فوق ساعديْ حبيبتي
كالراية المثقوبهْ ..

(٦)

أنظر كالمشدوه .. في خريطة العروبهْ
في كل شبر أعلنتُ خلافةً ..
وحاكم بأمره ..
وخيمةً منصوبه ..
تضحكني الأعلام ، والأختامُ ، والممالك التركيبيهْ
وسلطات القش ، والكرتون ، والشرائع العجيبه
ومشيخات النفط ..
والزواج بالمتعة ..
والغرائز المشبوههْ ..
أمشي ..
غريبَ الوجه في غرناطة ..
أحتضن الأطفال ، والأشجار ،
والمآذن المقلوبه ..
فهاهنا المرابطون رابطوا ..
وهاهنا الموحدون استوزروا ..
وهاهنا ..
مجالسُ الشراب ، والنساء ، والغيبوبه ..
وهاهنا عبادةٌ دامية ..
وهاهنا .. مشنقةٌ منصوبهْ ..
تناثري ..
كالورقَ اليابس ، يا قبائل العروبهْ
واقتتلي ..
واختصمي ..
يا طبعة ثانية من سيرة الأندلس المغلوبهْ

حوار مع ملك المغول

يا ملكَ المغول ..
يا وارث الجزمة ، والكرباج ، عن جدك أرطغرولْ
يا من ترانا كلنا خيولْ ..
لا فرق – من نوافذ القصور –
بين الناس والخيولْ ..

*

يا ملك المغولْ ..
يا أيها الغاضب من صهيلنا ..
يا أيها الخائف من تفتح الحقولْ ..
أريدُ أن أقولْ :
من قبلي أن يقتلني سيافكم مسرورْ ..
وقبل أن يأتي شهودْ الزورْ ..
أريدُ أن أقولَ كلمتينْ
لزوجتي الحامل من شهورْ ..
وأصدقائي كلهمْ ..
وشعبيَ المقهور ..
أريدُ أن أقول إني شاعرٌ
أحملُ في حنجرتي عصفورْ ..
أرفض أن أبيعه ..
وأنتَ من حنجرتي
تريدُ أن تصادرَ العصفورْ ..
يا ملكَ المغولْ ..
يا قاهر الجيوش ، يا مدحرجَ الرؤوسِ ..
يا مسدوخَ البحورْ ..
يا عاجن الحديد ، يا مفتت الصخورْ
يا آكل الأطفال ..
يا مغتصب الأبكار ..
يا مفترس العطور ..
واعجبي .. واعجبي ..
أأنتَ ، والشرطة ، والجيشُ ..
على عصفورْ ..

ايضاح إلى قراء شعري

ويقولُ عني الأغبياءُ :
إني دخلتُ إلى مقاصير النساء .. وما خرجتْ
ويطالبونَ بنصب مشنقتي .. لأني
عن شؤون حبيبتي .. شعراً كتبتْ ..
أنا لم أتاجر – مثل غيري – بالحشيش ..
ولا سرقت .. ولا قتلتْ ..
لكنني .. أحببتُ في وضح النهار ..
فهل تراني قد كفرتْ ؟

ويقولُ عنيّ الأغبياءْ :
إني بأشعاري ، خرجتُ على تعاليم النساءْ
من قالَ إن الحبّ على شراف السماء
إن السماء صديقتي ..
تبكي إذا أبكي .. وتضحكُ إن ضحكتْ
وتزيدُ أنجمها بريقاً ..
إن أنا يوماً عشقتْ ..
ماذا إذا غنيتُ باسم حبيبتي
وزرعتها في كلّ عاصمةٍ
كغابة كستناء ؟.

سأظل أحترفُ المحبةَ .. مثل كل الأنبياء ..
وأظل أحترف الطفولة ، والبراءةَ ، والنقاء ..
وأظل أكتبُ عن شؤون حبيبتي ..
حتى أذوب شعرها الذهبيّ ، في ذهب السماء
وأنا – وأرجو أن أظلّ كما انا –
طفلاً يخربشُ فوق حيطان النجوم كما يشاء ..
حتى يصيرَ الحبّ في وطني بمرتبة الهواءْ ..
وأصيرَ فوق شفاههم ..
ألفاً وباءْ ..

طريق واحد

أريدُ بندقيّه ..
خاتمُ أمّي بعتهُ
من أجلِ بندقيه
محفظتي رهنتُها
من أجلِ بندقيه ..
اللغةُ التي بها درسنا
الكتبُ التي بها قرأنا ..
قصائدُ الشعرِ التي حفظنا
ليست تساوي درهماً ..
أمامَ بندقيه ..

أصبحَ عندي الآنَ بندقيه ..
إلى فلسطينَ خذوني معكم
إلى ربىً حزينةٍ كوجهِ مجدليّه
إلى القبابِ الخضر .. والحجارةِ النبيّه
عشرونَ عاماً .. وأنا
أبحثُ عن أرضٍ وعن هويّه
أبحثُ عن بيتي الذي هناك
عن وطني المحاطِ بالأسلاك
أبحثُ عن طفولتي ..
وعن رفاق حارتي ..
عن كتبي.. عن صوري ..
عن كلِّ ركنٍ دافئٍ.. وكلِّ مزهريّه ..

أصبحَ عندي الآنَ بندقيّه
إلى فلسطينَ خذوني معكم
يا أيّها الرجال ..
أريدُ أن أعيشَ أو أموتَ كالرجال
أريدُ.. أن أنبتَ في ترابها
زيتونةً، أو حقلَ برتقال ..
أو زهرةً شذيّه

قولوا.. لمن يسألُ عن قضيّتي
بارودتي.. صارت هي القضيّه ..

أصبحَ عندي الآنَ بندقيّه ..
أصبحتُ في قائمةِ الثوّار
أفترشُ الأشواكَ والغبار
وألبسُ المنيّه ..
مشيئةُ الأقدارِ لا تردُّني
أنا الذي أغيّرُ الأقدار

يا أيّها الثوار ..
في القدسِ، في الخليلِ،
في بيسانَ، في الأغوار ..
في بيتِ لحمٍ، حيثُ كنتم أيّها الأحرار
تقدموا ..
تقدموا ..
فقصةُ السلام مسرحيّه ..
والعدلُ مسرحيّه ..
إلى فلسطينَ طريقٌ واحدٌ
يمرُّ من فوهةِ بندقيّه..

رسالة إلى عبد المنعم رياض

لو يُقتَلونَ مثلما قُتلتْ ..
لو يعرفونَ أن يموتوا .. مثلما فعلتْ
لو مدمنو الكلامِ في بلادنا
قد بذلوا نصفَ الذي بذلتْ
لو أنهم من خلفِ طاولاتهمْ
قد خرجوا.. كما خرجتَ أنتْ ..
واحترقوا في لهبِ المجدِ ، كما احترقتْ
لم يسقطِ المسيحُ مذبوحاً على ترابِ الناصرهْ
ولا استُبيحتْ تغلبٌ
وانكسرَ المناذرهْ ...
لو قرأوا – يا سيّدي القائدَ – ما كتبتْ ..

لكنَّ من عرفتهمْ ..
ظلّوا على الحالِ الذي عرفتْ ..
يدخّنون، يسكرونَ، يقتلونَ الوقتْ
ويطعمونَ الشعبَ أوراقَ البلاغاتِ كما علِمتْ
وبعضهمْ.. يغوصُ في وحولهِ ..
وبعضهمْ ..
يغصُّ في بترولهِ ..
وبعضهمْ ..
قد أغلقَ البابَ على حريمهِ ..
ومنتهى نضالهِ ..
جارية في التختْ ..

يا أشرفَ القتلى ، على أجفاننا أزهرتْ
الخطوةُ الأولى إلى تحريرنا ..
أنتَ بها بدأتْ ..
يا أيّها الغارقُ في دمائهِ
جميعهم قد كذبوا .. وأنتَ قد صدقتْ
جميعهم قد هُزموا ..
ووحدكَ انتصرتْ

دفاتر فلسطينية

(١)

حين رأيتُ اللهَ .. في عمّانَ
مذبوحاً ..
على أيدي رجال الباديهْ
غطيتُ وجهي بيدي ..
وصحتُ : يا تاريخُ !
هذي كربلاءُ الثانيهْ ....

(٢)

يا مجهضي الثورة ..
وهي بعدُ .. في ملابس العروسْ
يا قاتلي الربيع في أوله ..
يا سارقي الشموسْ
هل أنتمُ – كما ادعيتمْ – عربٌ
أم أنكمُ مجوسْ ..

(٣)

كلّ الكتابات التي أكتبها ..
تغسلها الكآبه ..
فبعد أن تمزقت دفاتري
صارتْ فلسطينُ هي الكآبهْ ..

(٤)

بقدر ما يتسع الفداء
تتسع السماء ..
مساحةُ النصر الذي نطلبهُ ..
تكون في مساحة العطاءْ

(٥)

كلّ أديبٍ عندنا لا يحملُ الصليبْ
يصيرُ حمالاً على مرفأ تل أبيبْ ..

لصوص المتاحف

نسطو على متاحف التاريخ في الظلامْ
ونسرقُ الخيولَ ،
والدروعَ ،
والأعلامْ .
نسرقُ سيف خالدٍ
ونسرقُ ديوانَ أبي تمام ..
ونسرقُ المجدَ الذي يخصهمْ
نسرقُ الأيامْ ..
خيرٌ لنا أن ندفنَ السذاجهْ
ونتركَ التاريخَ في الثلاجهْ ..

تعريف غير كلاسيكي للوطن

وطني !
يفهمكَ السذاج ريحاناً وراحْ
ويظنونك درويشاً يهزّ الرأسَ ، أو رقص سماحْ
ويظنونكَ في غفلتهم
نغمةً من بزقٍ ..
وقناني عرقٍ ..
ومواويل تغنى للصباحْ ..
وطني ، يا أيها الصدر بالجراحْ
وطني . من أنتَ؟ إنْ لم تنفجرْ
تحت إسرائيلَ صندوقَ سلاحْ ..

خطابٌ شخصيّ إلى شهر حزيرانُ . .

كنْ يا حزيرانْ انفجاراً في جماجمنا القديمهْ
كنّسْ ألوفَ المفردات ..
وكنس الأمثالَ ، والحكم القديمه
مزق شراشفنا التي اصفرتْ ..
ومزق جلدَ أوجهنا الدميمه ..
وكن التغير ، والتطرفَ ، والخروج على الخطوط المستقيمه.
أطلقُ على الماضي الرصاص ..
كُنِ المسدسَ والجريمهْ ..
من بعد موت الله ، مشنوقاً ، على باب المدينهْ
لم تبقَ للصلوات قيمهْ ..
لم يبقَ للإيمان أو للكفر قيمهْ ..

****

******* النهاية ******

****